

بحوث أخرى

اتحاد المعلمين الأمريكيين والاستعمار الأمريكي: تدريب المعلمين العرب والاستعمار الثقافي(*)

ميسون سكرية (***)

باحثة عربية.

مقدمة

في كانون الثاني/يناير من العام ٢٠٠٥، استحضر اتحاد المعلمين الأمريكيين (AFT) ١١ معلماً عراقياً بهدف تدريبهم على العمل النقابي في «بلد ديمقراطي». وقد تمت الورشة بتمويل من الاتحاد والوقفية القومية للديمقراطية -NED (National Endowment for Democracy, 2007) وهي المؤسسة الأمريكية التي تعمل على نشر «الديمقراطية» الأمريكية والممولة من الكونغرس. كان هدف الورشة تدريب المعلمين، وخصوصاً النساء منهم، في «العراق المحرّر» جديداً حسب ساندي وايزمن (Sandy Weiseman) مديرة الخدمات في الاتحاد، التي أضافت: «إن معلمي العراق بسطاء لا يفقهون الحياة في «نظام ديمقراطي»، ولا يعرفون حتى مبدأ الحقوق والواجبات في مثل هكذا نظام.. فلم تسنح لهم الفرصة أن يمارسوا هذه المبادئ التي تعتبر من المكونات الأساسية لأي نظام ديمقراطي» (American Federation of Teachers-AFT, 2005: 5-6).

وكان الاتحاد، ومباشرة بعد احتلال العراق في العام ٢٠٠٣، قد قدم اقتراحاً للتدريب على التربية المدنية من أجل مساعدة الحكومة الأمريكية في العراق (American Federation of Teachers Educational Foundation-AFTEF, 2003). وفي شباط/فبراير من العام ٢٠٠٤، عقد الاتحاد اجتماعاً مع حكومة الاحتلال، في فندق بابل في بغداد، لتقديم التفاصيل حول كيفية استعمال المدارس العراقية وتدريب الأساتذة بما يتوافق مع رؤية الولايات المتحدة للعراق الجديد (Catlaks, 2004). وقد أشار الاتحاد في هذا الاجتماع إلى أنه سيستقي من خبرته خلال عمله الطويل في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية لتدريب المعلمين في العراق وتحديث نقابة المعلمين. ولكن ما إن ساءت الأوضاع الأمنية في العراق، وخرجت عن سيطرة

(*) الدراسة جزء من ورقة أشمل للكاتب بالاشتراك مع ستيوارت تانوك ستنشر في المجلة العالمية للدراسات العملية.

mayssun@gmail.com.

(**) البريد الإلكتروني:

الاحتلال، حتى انتقل عمل الاتحاد إلى لبنان والأردن، ولاحقاً إلى اليمن. فقد شهد العالم العربي منذ بداية «الحرب على الإرهاب» والوجود المكثف للجنود الأمريكيين، وجوداً مكثفاً للاتحاد النقابي الذي قام بتدريب معلمين من اليمن والأردن وفلسطين ولبنان. وحسب لاري سبكت (Larry Specht)، مدير مكتب الشرق الأوسط في الاتحاد، وفي مقابلة خاصة معه أجريتها في واشنطن، يسعى الاتحاد إلى «إنشاء مركز دائم لتدريب المعلمين العرب من المحيط إلى الخليج يكون مركزه لبنان». وقد وضع الاتحاد نشاطه في لبنان ضمن حركة التضامن العمالي العالمي: «يهدف الاتحاد إلى مناصرة نقابات عمال حرة ومستقلة في أرجاء العالم ومعارضة الحركات اللاديمقراطية والحكومات التي تنتهك حقوق الإنسان»، حسب الموقع الإلكتروني للاتحاد. وضمن هذا النشاط، وتحت غطاء معارضة الأنظمة غير الديمقراطية ومساندة حقوق الإنسان، فقد قام الاتحاد بتمرير معلمين من أمريكا اللاتينية، وأوروبا الوسطى والشرقية، في التسعينيات، وانتقل إلى العالم العربي مع حملة الحرب على الإرهاب الأمريكية. وحسب الاتحاد، فإنه يمد «يد المساعدة لإخواننا وأخواتنا الذين يحاربون المستبدين إن كانوا من اليمين أو اليسار، ونقدم مساعدات تقنية وغيرها للنقابات بعد تحول بلادها إلى الأنظمة الديمقراطية» (American Federation of Teachers - AFT, 2007). ولكن، وعلى عكس ما يروج له الاتحاد، فإن عمله هو جزء من التاريخ الطويل للتزاوج بين العمل النقابي الأمريكي والسياسة الخارجية الأمريكية، تزاوج بدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر، مروراً بالحرب الباردة وصولاً إلى «الحرب على الإرهاب». أما خطاب الاتحاد عن التضامن العمالي العالمي، وتحديث النقابات، والمساندة التقنية لها، فهدفه تغطية دور الاتحاد في خدمة السياسة الخارجية الأمريكية ومصالح الولايات المتحدة في السيطرة على العالم. هناك مجموعة من الاعتقادات السائدة حول الولايات المتحدة تسهل عمل الاتحاد في هذه المنطقة – كما في مناطق أخرى من العالم – دون مساءلة. ومن هذه الاعتقادات: أولاً، استقلالية الاتحاد عن السياسة الخارجية الأمريكية، ثانياً، مثالية التعليم في الولايات المتحدة، وثالثاً النظر إلى الأمريكيين على أنهم الخبراء. في هذه الورقة سأقوم بتفنيد الاعتقاد الأول السائد، بشكل أساسي، معتمدة على مجموعة أبحاث عن الاتحاد أجريت في السنوات الأخيرة.

ولكن قبل البدء بالتحليل، يجب ذكر كلمة حول البحث. لقد تعرّفْتُ إلى عمل الاتحاد خلال عملي الميداني في دراسة حول نشر الديمقراطية في العالم العربي خلال الفترة ما بين أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥، وتشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٧. وكان الاتحاد جزءاً من الجمعيات التي تابعت نشاطاتها في المنطقة بسبب اهتمامي بتغيير المناهج وتدريب المعلمين كجزء من الدراسة. وهكذا، فقد أقمت عدة مقابلات مع أعضاء الاتحاد في واشنطن في نيسان/أبريل ٢٠٠٦، وكذلك حضرت بعض ورش العمل التي أقامها الاتحاد في لبنان في حزيران/يونيو ٢٠٠٦. وقد أتاح لي هذه الورش إجراء مقابلات مع المعلمين اللبنانيين وطريقة تلقيهم التدريب. وبالإضافة إلى المقابلات وحضور الورش، فقد استعنت بكتابات حول تاريخ عمل الاتحاد المتلازم أبداً، ومنذ تأسيسه، مع السياسة الخارجية الأمريكية في مناطق مختلفة من العالم.

أولاً: الاعتقاد باستقلالية الاتحاد عن السياسة الخارجية الأمريكية

قبل البدء بتنفيذ الاعتقادات المذكورة أعلاه، يتوجب التذكير أن الاتحاد هو عضو اتحاد العمال الأمريكيين وتجمع عمال المنشآت الصناعية (AFLCIO)، الذي يضم الاتحادات المهنية ونقابات عمال المنشآت الصناعية التي تأسست في العام ١٩٥٥، وله نشاطات في أرجاء العالم. في معظم الأحيان يروج الاتحاد لبرامج براغماتية ولاسياسية كالتدريب على المهارات التقنية. وهكذا فقد أقام AFLCIO ورشاً تدريبية، ومراكز إقليمية في أنحاء العالم، كما قام باستجلاب نقابيين من العالم للدراسة في جامعات أمريكية تقدم برامج تربوية نقابية، هدفها المعلن التدريب التقني والمهني، ولكنها تهدف وبحسب سيمس (Sims, 1992)، إلى نشر ثقافة ليبرالية للنقابات تتوافق مع مصالح الشركات الكبرى... وتنص على الترويج للأيدولوجية العمالية المحافظة و«على تقديم نظرة إيجابية عن السياسة الخارجية الأمريكية وعن النظامين الاقتصادي والسياسي في الولايات المتحدة»، إضافة إلى كسب «عقول وقلوب» النقابيين في العالم الثالث. فقد كوَّنت برامج التدريب هذه، فضاءات هامة لتجميع المعلومات، وتقوية روابط المحسوبية (Patronage) من خلال تقديم موارد، وفرص عمل، لم تكن متوافرة لقادة وأعضاء النقابات في البلدان المستهدفة.

وفي هذا السياق، يذكر شميدت (Schmidt, 1978) أن AFLCIO هو أكثر النقابات المهنية ملاصقة للأهداف الإمبريالية الأمريكية، حيث يتم تمويله مباشرة من خلال وزارة الخارجية الأمريكية، وقد تبع الاتحاد مصالح الولايات المتحدة في الانتقال إلى مختلف أصقاع العالم، من أمريكا اللاتينية في الثمانينيات إلى شرق أوروبا في التسعينيات، وأخيراً في مطلع هذا القرن، إلى العالم العربي. ويذكر رادوش (Radosh, 1969) أن قيادي الاتحادات النقابية في أمريكا قاموا «ليس فقط بمساندة السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية، بل بعمل مباشر مع وزارة الخارجية، فالمحافظة على أمن وحرية الولايات المتحدة كان الهمم الأكبر لاتحادات العمال الأمريكيين... فوجودنا كأحرار وكاتحاد عمال حر يعتمد على قوة وإرادة الشعب الأمريكي وعلى حماية وجوده الوطني والحياة الأمريكية الحرة» وهكذا فباسم المحافظة على نقابات العمال الحرة من التهديد الشيوعي والأنظمة الشمولية، عمل اتحاد العمال الأمريكيين، منذ إنشائه، على «قلب أنظمة منتخبة ديمقراطياً، وتعاون مع أنظمة ديكتاتورية ضد اتحادات عمال تقدمية في كل أنحاء العالم من أفريقيا وآسيا، إلى أوروبا وأمريكا اللاتينية والوسطى، فالشرق الأوسط (Scipes, 2005). وفي كل هذه الحالات، كان تقديم التعليم والخبرة والتدريب التقني، المدخل الأساسي لاستيعاب الحركة العمالية في البلد المستهدف، خدمة لمصالح الولايات المتحدة» (Godfried, 1987: 51-63).

ففي أواخر الثمانينيات كان AFLCIO قد قام بتدريب نصف مليون نقابي من أمريكا اللاتينية والوسطى، مما أدّى إلى أن ٧٠ بالمئة من المديرين التنفيذيين للنقابات في هذا الجزء من العالم هم من خريجي اتحاد العمال الأمريكيين وتجمع عمال المنشآت الصناعية

(Barry and Preusch, 1987). وكانت هذه التدريبات سياسية بشكل فاضح، في بعض الأحيان، كتدريس مواد عنوانها: «الأيديولوجيات الشمولية» و«الديمقراطية والشمولية»، «النظريات السياسية والحركة النقابية» أو تحليل وتعريف الدعاية الشيوعية المتطرفة. (Advisory Committee on Labor Diplomacy-ACLD, 2001). وتزامناً مع احتلال العراق، والتركيز على ضرورة تغيير المناهج التربوية العربية تماشياً مع التصور الاستعماري الجديد للمنطقة العربية، كان من البديهي التركيز على اختراق نقابات المعلمين. وهكذا فقد أطلق الرئيس بوش منذ بداية العام ٢٠٠٣ التصريح تلو الآخر عن أهمية مساندة اتحادات نقابات حرة في الشرق الأوسط مشدداً على نقابات المعلمين. وكان أنتوني فريمان، مدير مكتب واشنطن لمنظمة العمال العالمية، قد أكد أهمية التركيز على نقابات المعلمين كجزء من الدبلوماسية العمالية (Labour Diplomacy) (Freeman, 2001).

ثانياً: اتحاد المعلمين والإمبريالية الأمريكية

تاريخياً، يعتبر اتحاد المعلمين الأمريكيين إحدى النقابات الأكثر التصاقاً بالسياسة الأمريكية منذ بداية الحرب الباردة. وكان ألبرت شانكر، الذي شغل منصب مدير الاتحاد (١٩٧٤ - ١٩٩٧)، من أبرز صقور الحرب الباردة، وقد عرف بمساندته الحرب على فيتنام (Weiner: 1998a; 1998b). وقد شغل شانكر مناصب عدة منها لجنة المحافظين الجدد لمواجهة الخطر الحاضر، وكذلك كان عضواً في المنظمين الممولتين من الوزارة الخارجية اللتين عملتا في التدخل في الشؤون السياسية للبلدان، خدمة لمصالح الحكومة الأمريكية (Schmidt, 1978 and Buhle, 1997: 51-58).

ولم يخل الاتحاد من أعضاء عملوا مباشرة مع وزارة الخارجية الأمريكية منذ العام ١٩٤٧، وقد دأب شانكر طوال الثمانينيات ومن خلال مقالاته الأسبوعية في نيويورك تايمز «أين نقف؟» (Where We Stand) على انتقاد إدارة ريغن لعدم إعطائها أولوية للدفاع، داعياً إلى زيادة الإنفاق العسكري واتهام معارضي الأسلحة النووية بالمساهمة في خطر حرب نووية من خلال مساندة الاتحاد السوفياتي، وأعلن مساندة الكونتراس في نيكاراغوا (الكونتراس هي تجمع الميليشيات التي تكوّنت بدعم من الاستخبارات المركزية الأمريكية من أجل محاربة الجبهة الساندينستية للتحرير الوطني التي أطاحت بالدكتاتور أناستازيو سومونا ديبايل الذي كان حليف الولايات المتحدة). وقد اتهمت الولايات المتحدة الجبهة بمحاولة إنشاء دولة اشتراكية بدعم من كوبا والاتحاد السوفياتي في ذلك الوقت، فقامت بدعم الكونتراس الذي اغتال قادة الجبهة، وأقام فرق موت لتقسيم البلاد كما حصل في العراق (Shanker: 1982, 1983, 1987).

وكان شانكر، وفي مقالة له في العام ١٩٨٧، لمعارضة مظاهرة شعبية حاشدة في نيويورك من أجل السلام والعدالة في أمريكا الوسطى، وأفريقيا الجنوبية، قد كتب أن: «الذين يساندون الحرية وحقوق الإنسان لن يوصلوا أصواتهم بالوقوف جنباً إلى جنب مع الساندينستاز، ومنظمة التحرير الفلسطينية» (Shanker, 1987).

وهكذا يبدو أن شانكر يدافع عن الحريات وحقوق الإنسان، عندما يتعلق ذلك بمحاربة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية وليس بحلفاء الولايات المتحدة. وهكذا، وحسب وينر (Weiner: 1998a; 1998b) أصدر الاتحاد، تحت قيادة شانكر بياناً بإدانة الاتحاد السوفياتي لمنعه ياكوف ساسلنسكي من مغادرة الأراضي السوفياتية إلى إسرائيل، وامتنع الاتحاد عن إدانة حكومتي كوريا الجنوبية وتشيلي، حليفتي الولايات المتحدة لعدم احترامهما حقوق الإنسان.

وكان الاتحاد تحت قيادة شانكر قد حصل على أموال من الحكومة الأمريكية من أجل تطوير ورش وتسويقها وإدارتها لـ «التربية على الديمقراطية»، التي أقيمت في أكثر من ثلاثين دولة في مختلف أنحاء العالم من بوليفيا، إلى بورما، وكينيا، وكازخستان (للعمل في أمريكا الوسطى، روسيا وأوروبا الشرقية والوسطى) (American Federation of Teachers-AFT, 2007). فبين العامين ١٩٩٦ – ١٩٩٩ حصل الاتحاد على ١٤ مليون دولار من NED، وفي نيكاراغوا عمل الاتحاد مع NED ووكالة التنمية الأمريكية من أجل عدم تسييس برامج الساندينستا (Gandal and Finn, 1992)، وفي روسيا قام الاتحاد بالتعاون مع الوكالة أيضاً بترويج «برامج ديمقراطية»، تؤله قيادة أمريكا للعالم ونمط الحياة الأمريكي (Buhle, 1999: 24).

وتابع الاتحاد سياسة الحرب الباردة، فمديره الحالي للشؤون الخارجية ديفيد دورن، كان أيضاً مديراً في فترة شانكر، وعوضاً عن أن يسائل الاتحاد عن تصرفاته السابقة، ويعتذر عن مساندته الإدارة الأمريكية، يتابع الاتحاد عمله الدؤوب مع وزارة الخارجية الأمريكية. ويدعم الاتحاد مؤسسة شانكر، التي أسست في العام ١٩٩٨ لدعم الديمقراطية والتربية والنقابات العمالية بما يتناسب مع سياسات الولايات المتحدة. وقد انتقل الاتحاد مؤخراً للعمل في العالم العربي تزامناً مع احتلال العراق. وبغض النظر عن كيفية تسويق الاتحاد لعمله مع معلمي العالم العربي، يتابع هذا الاتحاد موقفه الذي لم يتزحزح عنه كمساند للتدخلات العسكرية الأمريكية، وكمساند للاحتلال، (American Federation of Teachers-AFT, 2001) وقد أصدر الاتحاد بياناً في العام ٢٠٠١ لمساندة الحرب على أفغانستان.

وفي العام ٢٠٠٣، أعلن الاتحاد مساندته لتحرك عسكري أحادي من الولايات المتحدة ضد العراق على أساس أن نظام صدام حسين «يشكل خطراً حقيقياً على السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، وعلى العالم المسالم الذي تسعى إليه الأمم المتحدة، وبالتالي فهو يشكل خطراً مباشراً على أمن الولايات المتحدة ومصالحها وسلامها». وكان ديفيد دورن، مدير الاتحاد للشؤون الخارجية، قد تذرّع من النقابيين الأمريكيين اليساريين، لتركيزهم على استحضار النقابيين العراقيين ضد الاحتلال. وفي العام ٢٠٠٦، أصدر الاتحاد بياناً يدعم فيه إسرائيل دعماً مطلقاً لاجتياح لبنان (American Federation of Teachers-AFT, 2006).

ثالثاً: الاتحاد في لبنان

بدأ الاتحاد عمله في لبنان في العام ٢٠٠٥، حين قام بدعوة نقابة التعليم الثانوي العام ونقابة معلّمي المدارس الخاصة إلى الولايات المتحدة. وفي الولايات المتحدة، اتّصل موظفون في وزارة الخارجية الأمريكية وبمبادرة الشراكة الشرق أوسطية وأعلموا النقابيين اللبنانيين أنهم من يموّل عمل الاتحاد خارج الولايات المتحدة. وأعرب المسؤولون الأمريكيون عن أملهم في تغيير صورة الولايات المتحدة في العالم العربي. وعرضت اتفاقية يقوم بموجبها الاتحاد الأمريكي للمعلمين بتمرين نقابيين في لبنان الذين يقومون بدورهم بتمرين نقابيين عرب. وقد أثارت هذه العلاقة بين الاتحاد ووزارة الخارجية الأمريكية جدلاً واسعاً على صفحات الصحف اللبنانية. وقد انتهى هذا الجدل في أروقة البرلمان اللبناني، عندما أعلنت مسؤولة اللجنة التربوية آنذاك بهية الحريري، السماح للاتحاد بتمرين النقابيين اللبنانيين، على أن يقتصر هذا التمرين على الأمور المهنية فقط.

وهكذا، بدأ الاتحاد تدريب المعلمين في لبنان في الفترة ما بين كانون الثاني/يناير وحزيران/يونيو من العام ٢٠٠٦، من خلال ورش عمل شملت كل المناطق اللبنانية وركّزت على طرق التعليم وتطوير النقابات بقيادة نقابيين لبنانيين كانوا قد خضعوا لتمرينات من قبل الاتحاد. وأدّى الاتحاد دور المراقب، خصوصاً وأن أحد أهدافهم كان تحديد معلمين قياديين لمساعدة الاتحاد في تمرين الأساتذة في لبنان والعالم العربي. ولكن عمل الاتحاد في لبنان قد توقف بسبب مساندة الاتحاد للحرب الإسرائيلية، ممّا اضطرّ رئيس نقابة المعلمين إلى عدم العمل مع النقابة في المستقبل. وكان لاري سبكت منسق برامج تدريب الاتحاد في لبنان والعالم العربي يركّز دائماً على «أن عمل الاتحاد مستقل عن الحكومة الأمريكية وأن دوافعه تتبع من التضامن العمالي مع عمال العالم العربي. ونحن، عادة، نتكلم على عملنا السياسي وعلى مساندتنا دائماً للمرشحين الديمقراطيين ولا نحجب بوش وهذا عادة ما يكسر الجليد بيننا وبين النقابيين العرب إذا كانت لديهم تساؤلات حول عملنا بسبب السياسة الخارجية الأمريكية في الوقت الحالي حيال هذه المنطقة» (مقابلة خاصة مع لاري في أيار/مايو ٢٠٠٦).

ليس لتصريحات لاري أي صلة بالحقيقة من قريب أو من بعيد. فإذا ما كان هناك خلاف بين الديمقراطيين والجمهوريين حول العراق فهو خلاف على الطريقة التي يتم بها نهب الثروات وليس في السياسة العامة. بالإضافة إلى ذلك، فإن عمل الاتحاد في الشرق الأوسط ممول من مبادرة الشراكة الشرق أوسطية التي أنشأها المحافظون الجدد، وترأسها إليزابيت تشيني لمساندة السياسة الأمريكية في «ترويج الديمقراطية» في الشرق الأوسط! ففي لبنان، ينسّق الاتحاد عمله مع السفارة الأمريكية، من خلال زيارات يقوم بها أعضاء الاتحاد إلى السفارة لمناقشة وتنسيق عملهم ونشاطاتهم (لاري سبكت). وكان لاري سبكت قد عمل مع وزارة الخارجية الأمريكية في أوروبا الشرقية، قبل أن يصبح منسّق الاتحاد في لبنان والعراق. ولا بدّ من ذكر، أن عمل الاتحاد في لبنان وبقية العالم

العربي ينضوي تحت خطة موضوعية من اللجنة الاستشارية للدبلوماسية العمالية في وزارة الخارجية الأمريكية (Scipes, 2005).

وكانت اللجنة، وفي تقرير لها في العام ٢٠٠١، تحت عنوان «الدبلوماسية العمالية في خدمة الديمقراطية والأمن»، قد أكدت أن الدبلوماسية العمالية العالمية مهمة لـ «ترويج الأمن القومي الأمريكي ومحاربة الأسباب السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، في العالم التي تهدد مصالحنا الأمنية». واستهدف التقرير الاتحادات النقابية في البلدان الإسلامية، بوصفها فضاء «لتخاضم سياسي لكونها منظمات سياسية غير معلنة وأدوات للسيطرة».

● ورش عمل تدريب الاتحاد

عندما تطرح أمامك كلمة «نقابة» ماذا يخطر ببالك؟

يسأل المدرب النقابي الأمريكي مجموعة من النقابيين المتدربين اللبنانيين في الحقوق، ويأتي بعض الإجابات: «مطالبة» «قوانين» سلطة «ضمان» «دفاع» و«حماية». ويضيف المدرب: «حسناً الآن نودّ إضافة كلمة جديدة ألا وهي مهنية الأساتذة وتقدمهم وتطورهم من خلال التمرين». يقول المدرب الأمريكي «التمرين والتطوير والمهنية كلمات أشبعت منها ورش التدريب، فبينما كانت نقابات المعلمين «المتأخرة» تطالب بتحسين أوضاع المعلمين والعمل، وتعمل كمناهض للإدارات التعليمية، فإن النقابات المتقدمة تركز على تحديات الإصلاح التربوي، التعليم النوعي، والتقدم المهني للمعلمين، وتعمل كشريك للإدارة. جزء كبير من عمل الاتحاد في لبنان يوضع تحت عنوان مساعدة نقابات المعلمين في هذا البلد لقيادة أنفسهم، والانتقال ببلدهم من نمط الاقتصاد القديم المترهل إلى عصر اقتصاد ما بعد التصنيع، عصر المعرفة والمعلومات، العصر المعولم.

يحضّ ترويج الاتحاد لتأليف نقابات مهنية في لبنان المعلمين على عدم التدخل في السياسة أو في أي صراع سياسي خلافاً لما يقوم به الاتحاد من مساندة السياسة الخارجية الأمريكية. يمكن الاعتقاد من جهة، أن الاتحاد بتشديده على الأمور المهنية في تدريباته هو سبب القيود التي وضعها عليه البرلمان للعمل في لبنان. ولكن التركيز على مهنية غير ميسّسة له عواقب أخرى: فهو يمنع التساؤل حول ما إذا كان من المسموح أو الممنوع عمل نقابات معلّمين عرب مع الاتحاد، في وقت تحتلّ فيه الولايات المتحدة العراق وتحاول السيطرة على المنطقة كلّها، وهو أيضاً يستبعد نقابات المعلّمين من مقاومة التدخل والاحتلال الأمريكي للمنطقة؛ ويسوّق لعولة التربية والنقابات، فلكي نكون مهنيّين حسب تعريف الاتحاد، على الأساتذة التعلم المستمر من أجل مواكبة تطورات العصر وتحضير التلاميذ للعمل في القرن الواحد والعشرين. وهذا يعني تحضير التلاميذ والشباب العرب للعمل في الاقتصاد المعرفي مع عدم مساءلة أو تحدّي قيادة أمريكا للاقتصاد العالمي، وفرض هذا النظام بالقوة على دول العالم الثالث. ويمكن وضع هذا التركيز على مهنية النقابات ضمن سياسة AFLCIO، التي كانت قد أطلقت منذ الحرب الباردة صفة المتأخّر والبدائي على نقابات العالم الثالث

التي كانت حسب AFLCIO أيضاً نقابات ميسّسة جداً وتعتنق أيديولوجيات راديكالية. بينما كانت حركة العمال الأمريكية متقدمة وحداثيّة لأنها تطوّرت عبر الوقت من «حركة أيديولوجية» ملتزمة بالتغيير الاجتماعي لها أهداف ثقافية إلى حركة مؤسسية (Institutional)، تركّز على الولاء للنقابة ومهنية المعلمين وتحضير القيادة النقابية (Godfried, 1987: 53). وهكذا فقد اعتبرت النقابات الأمريكية أن تصدير خبراتها في الحركة النقابية هو مكون أساسي من أجل تطور الحركة النقابية في العالم الثالث واعتبرت تصدير هذه الخبرات غير سياسي وغير مؤدّج ينبع من حب المساعدة. ولكن قادة الحركة النقابية في أمريكا اعتقدوا أن «التدريب المهني للنقابات العمالية في العالم سيؤدي إلى: إما إعادة إنتاج الحركة العمالية في العالم الثالث أو تقدير النقابات العالمية ودعمها لسياسات وأيديولوجيات الحركة النقابية الأمريكية. وفي كلتي الحالتين يكون التدريب على التقنيات والأيدولوجية شريكين غير منفصلين» (Godfried, 1987: 53).

وتكمن سخريّة أن يقوم اتحاد المعلمين بدور الممكن، المعلم والممدّن للنقابات العربية المتأخّرة في كون أن الاتحاد يبيع سلعاً هو لا يمتلكها في عصر داره ولا تنتجها الولايات المتحدة، وكما يقول جيفرسون كوي: «يجب أن نتساءل لم تكون الحركة النقابية الأمريكية مهمّشة ومحتقرة في الولايات المتحدة نفسها، بينما تسوق نفسها كنمط على الآخرين الاحتذاء به في الخارج». والاتحاد الأمريكي للمعلمين لم يكن يوماً قيادياً لا في حركة إصلاح المناهج ولا في تدريب المعلمين ولا حتى في الحركة النقابية داخل أمريكا فعلى العكس من ذلك، فالاتحاد معروف في الولايات المتحدة بمرجعياته وسياسته المحافظة، وبأنه يعمل دائماً كشريك للشركات الأمريكية الكبرى ويساعدها على اقتحام مجال التعليم وتحويل التلامذة إلى مستهلكين (Weiner, 2005; Collins, 2001 and Berube, 1998). وهكذا، يُشكّل التعليم الرسمي الأمريكي خيبة أمل للدول المتطورة وهو ليس نمطاً يُحتذى به، وكذلك إن الحركة النقابية في أمريكا ضعيفة وليس لها أي تأثير في السياسة الداخلية وفي تغيير أوضاع العمال والمهنيين. وعلى الرغم من هذا يأتي الاتحاد إلى لبنان ليس للتعليم من النقابات في هذا البلد ولكن كي يخطب فيهم ويعلمهم، وكما تفعل حكومته، يأخذ دور الخبير والرّياضي في شؤون التربية، والعمال وتسويق الديمقراطية.

وبينما يكون تسويق الأفكار الأمريكية حول التربية والديمقراطية جزءاً مهماً من عمل الاتحاد، من الخطأ النظر إلى حصر عمل الاتحاد في التدريب. فقد صرّح المتدربون اللبنانيون أن مُدربي الاتحاد لا يابهون الآن بالمكوّنات والمعلومات التي يمتلكها الخاضعون للتدريب ولكنهم يابهون بالمهارات القيادية. كيف نتكلم؟ نتفاعل؟ نستعمل لغة الجسد؟ فالتدريبات الأولية هي لاختيار المُدربين الورش المقبلة وكي يكونوا صلة الوصل بين نقابات الوطن العربي والاتحاد. وهكذا يجلس أعضاء الاتحاد في ورش التدريبات يأخذون معلومات دقيقة عن كل حركة ونقاش يدوران في الورشة مما أثار قلق أحد المُدربين الذي صرح لي بأن مركز تدريب المعلمين العرب الذي يعتزم الاتحاد القيام به «هو مركز استخبارات آخر

ليس إلا... مركز للمراقبة على عمل النقابات تقاعسها عن قضايا الوطن وهمومه، خدمة للسياسات الأمريكية».

وهكذا تشكّل ورش العمل فضاء ينتقي منه الاتحاد المعلمين الذين سيبقون إلى اتصال بهم، ويدعونهم إلى الولايات المتحدة للخضوع لورش عمل أخرى وللتعرّف إلى الأعضاء القياديين في الاتحاد ليكونوا رسل الاتحاد، في العالم العربي. وهذا تكتيك قام به الاتحاد ونقابات أمريكية أخرى في أمريكا اللاتينية الوسطى وأوروبا الشرقية (Sims, 1992; Scipes, 2000).

رابعاً: الاتحاد وإسرائيل

في ٢١ تموز/يوليو من العام ٢٠٠٦، وبعد أسبوع واحد على بدء الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وفي الوقت الذي كانت فيه الطائرات الإسرائيلية تقصف المرافق المدنية ومنها المدارس في طول البلد وعرضه، أصدر الاتحاد بياناً يدعم فيه دعماً كاملاً الاجتياح الإسرائيلي وينعت المقاومة بالإرهاب.

واعتمد البيان الخطاب الرسمي الأمريكي بتقسيم الشرق الأوسط إلى دول جيدة (صديقة) يتوجب دعمها والدفاع عنها بالأشكال كلها - إسرائيل - وأخرى شريرة (Evil) ويتوجب محاربتها ومعارضتها، وحتى تدميرها. وقد صوّرت إسرائيل في البيان كضحية للإرهاب والظلم، وليس كدولة مصدرة لهما، ووصف حزب الله بالمنظمة الإرهابية الخارجة عن القانون، التي «احتفظت بالشعب اللبناني كرهائن». وأكّد البيان على واجب الدفاع عن حدود إسرائيل (American Federation of Teachers-AFT, 2006).

وللوهلة الأولى، يبدو من غير الممكن الاعتقاد أن هناك اتحاداً يلتزم الحركة النقابية العالمية، وقضى عاماً مع نقابيين لبنانيين ومعلمين لبنانيين، يصدر مثل هكذا بيان في حين يقصف هؤلاء من البحر والجو والأرض النقابيين الذي يقوم الاتحاد بتمرينهم. والبيان لم يكن لا من قريب ولا من بعيد «متمدناً»، و«لا سياسياً» كما يروج الاتحاد نفسه في العالم العربي. ولكنّ البيان يظهر العلاقة الوثيقة والالتزام المبدئي للاتحاد بسياسة الولايات المتحدة وعلاقاتها المصلحية والوثيقة بإسرائيل. فقد فاز رئيس الاتحاد إدوار ماكلروي بأذل بجائزة الريادة التربوية من مركز إسحق رابين في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٦. وفي كانون الأول/يناير ٢٠٠٦، قامت مجموعة خاصة تكوّنت من ٣٠ عضواً من الاتحاد بزيارة إسرائيل من أجل حضور احتفال إطلاق اسم الرئيسة السابقة للاتحاد ساندرا فريدمان على أحد صفوف مركز إسحق رابين. ويجب وضع عمل الاتحاد في سياق سياسة الولايات المتحدة التي تتدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية، وتحاول قمع أي معارضة في هذا البلد يمكن أن تشكل خطراً على الأهداف السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة في المنطقة.

خاتمة

«منذ أربعة عقود، والسياسة الخارجية لاتحاد العمال الأمريكيين وتجمع عمال المنشآت الصناعية AFLCIO، تحتكرها نخبة صغيرة كانت دائماً مقربة من السياسة الخارجية الأمريكية. ويجهل من معظم الأعضاء الأمريكيين قامت هذه النخبة بعمليات واسعة في الخارج مساندة لمصالح الولايات المتحدة وهذه العمليات وبدل أن تخدم مصالح العمال في أمريكا الوسطى واللاتينية، كانت تخدم المصالح السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة في مختلف أصقاع العالم» (Barry and Preusch, 1987: 63-64). وعلى الرغم من مضيّ عشرين عاماً على كلام باري وبورش، فالعمل النقابي الأمريكي في الخارج لم يتغير: ما زال يواكب مصالح النخب السياسية والاقتصادية في الولايات المتحدة ضد مصالح العمال في الداخل والخارج. وكما يبدو من عمل الاتحاد في العالم العربي مؤخراً، فهذا العمل ما زال وثيق الارتباط بالسياسة الخارجية الاستعمارية للولايات المتحدة، وضد مصالح العمال إن كان في داخل أو خارج الولايات المتحدة. فما الذي يمكّن الاتحاد، وبعد تاريخه المرتبط بالاستعمار منذ تأسيسه من استخدام الخطاب نفسه والعمل في العالم العربي دونما مساءلة عن أهدافه؟

بضع نقاط وجب توضيحها ربما تساعد في فهم تكرير تجربة الاتحاد في أمريكا اللاتينية ومن ثم في أوروبا الشرقية، ومؤخراً في الوطن العربي. أولاً، يجب التأكيد أن أهداف الاتحاد ربما تكون مجهولة للأعضاء المدربين في الوطن العربي، فبعضهم كمعظم الأمريكيين، قد تربّوا على ثقافة التميز (Culture of Exceptionalism) والتميز هو عنصر سائد في السياسة الأمريكية، وذو جذور ثقافية عميقة. وقد تناول الموضوع العديد من المحللين من الولايات المتحدة وخارجها. ويؤكد التميز المرتبة الأخلاقية الأعلى التي تتمتع بها الولايات المتحدة والتفرد (Uniqueness) في نظامها السياسي، تركيبتها الاجتماعية وقيمها وخصائصها الدينية والثقافية» (McEvoy-Levy, 2001) – وقد ساهمت هذه الثقافة في إضفاء شرعية للتدخل الأمريكي في الخارج كما أسهمت الـ (Mission Civilisatrice) في خدمة التوسع الأوروبي سابقاً. وهذا الشعور الأمريكي بالتميز جعل عمل الاتحاد في الخارج طبيعياً – فالأمريكيون يحاولون نقل تميزهم إلى أصقاع العالم – ، وفي المقابل فإن عقدة النقص التي ولدها الاستعمار المتتالي لبلادنا، قد جعلت من السهل على نقابة المعلمين في لبنان وفي البلدان العربية الأخرى، تقبّل التدريب من الاتحاد دون دراية بمدى فعالية هذه التدريبات. فالاعتقاد السائد أن النظام التربوي في الولايات المتحدة نظام متقدّم ومتطوّر، وأن المعلمين ممكنون، وكل هذا مبني على نظرة استغرابية لا أساس لها من الصحة حيث أظهرت دراسات عديدة أن النظام التعليمي في أمريكا يحتل المرتبة – ٤١ – من العالم المتقدم في التعليم الأساسي والثانوي، وهي المرحلة التي يدرّب الاتحاد أساتذتها. ومن هنا، فإن عدم دراسة الولايات المتحدة، يجعل من السهل تقبل الدعم والتدريب من أي مؤسسة أمريكية... ولكن بعد احتلال العراق أولّم يحن الوقت لإعادة النظر بنظرتنا إلى أنفسنا وإلى المستعمر؟ □

المراجع

- ACLD (Advisory Committee on Labor Diplomacy) (2001). *Labor Diplomacy: In the Service of Democracy and Security*, < <http://www.state.gov/g/drl/rls/10043.htm>. > . (Accessed on: 16 August 2007).
- AFT (American Federation of Teachers) (2001). Executive Council Resolution on the Events of 11 September 2001 and the War against Terror, < <http://www.aft.org/about/resolutions/2001/Sept11.htm> > . (Accessed on: 16 August 2007).
- AFT (American Federation of Teachers) (2003). AFT Resolution on Iraq, < <http://www.aft.org/about/resolutions/2003/iraq.htm> > . (Accessed on: 16 August 2007).
- AFT (American Federation of Teachers) (2005). «AFT Works with Iraqi Teachers.» *Overseas Teacher*: vol. 40, no. 4, pp. 5-6.
- AFT (American Federation of Teachers) (2006). Special Order of Business on State-Sponsored Terrorism and the Crisis in the Middle East, < <http://www.aft.org/about/resolutions/2006/terrorism.htm> > . (Accessed on: 16 August 2007).
- AFT (American Federation of Teachers) (2007). AFT at Work in the World, < <http://www.aft.org/topics/international/index.htm> > . (Accessed on: 16 August 2007).
- AFTEF (American Federation of Teachers Educational Foundation) and CCE (Center for Civic Education) (2003). Education for a Culture of Democracy in Iraq, < http://www.civnet.org/contenidos.php?ACTION=SW1wcmltaXJDb250ZW5pZG8=&id_secciones=OA==> . (Accessed on: 16 August 2007).
- Barry, Tom and Deb Preusch (1987). *AIFLD in Central America: Agents as Organizers*. Albuquerque: Inter-Hemispheric Education Resource Center.
- Berube, Maurice (1998). *Teacher Politics: The Influence of Unions*. New York: Greenwood Press.
- Buhle, Paul (1997). «Albert Shanker: No Flowers.» *New Politics*: vol. 6, no. 3, pp. 51-58.
- Buhle, Paul (1999). *Taking Care of Business*. New York: Monthly Review Press.
- Catlaks, Guntars (2004). «International Examples of Teaching Civics,» Hotel Babylon, Baghdad, 21-23 February, < http://www.civnet.org/contenidos.php?id_secciones=OA==&ACTION=TW9zdHJhclVuQ29udGVuaWRv&id_contenido=NDM> . (Accessed on 16 August 2007).
- Collins, James (2001). «Selling the Market: Educational standards, Discourse and Social Inequality.» *Critique of Anthropology*: vol. 21, no. 2, pp. 143-163.
- Freeman, Anthony (2001). ACLD Minutes: 14 November 2001, < <http://www.state.gov/g/drl/rls/11252.htm> > . (Accessed on: 16 August 2007).
- Gandal, Matthew and Chester Finn (Jr.) (1992). «Teaching Democracy.» Freedom Paper; no. 2, < <http://usinfo.state.gov/products/pubs/archive/freedom/freedom2.htm> > . (Accessed on 16 August 2007).
- Godfried, Nathan (1987). «Spreading American Corporatism: Trade Union Education for Third World Labour.» *Review of African Political Economy*: vol. 39, pp. 51-63.
- McEvoy-Levy, Siobhan (2001). *American Exceptionalism and US Foreign Policy: Public Diplomacy at the End of the Cold War*. Basingstoke: Palgrave.

- NED (National Endowment for Democracy) (2006). Democracy Projects Database, < <http://www.ned.org/dbtw-wpd/textbase/projects-search.htm> > . (Accessed on 16 August 2007).
- Radosh, Ronald (1969). *American Labor and United States Foreign Policy*. New York: Random House.
- Schmidt, George (1978). *The American Federation of Teachers and the CIA*. Chicago, IL: Substitutes United for Better Schools.
- Scipes, Kim (2000). «It's Time to Come Clean: Open the AFL-CIO Archives on International Labor Operations.» *Labor Studies Journal*: vol. 25, no. 2, pp. 4-25.
- Scipes, Kim (2005). «Labor Imperialism Redux? The AFL-CIO's Foreign Policy since 1995.» *Monthly Review*: vol. 57, no. 1, pp. 23-36.
- Shanker, Albert (1982). «How to Lose World War III: Defense is Reagan's Second Priority.» *New York Times*: 29/12.
- Shanker, Albert (1983). «War Must Come, Says «Day After»: ABC Shoots Down the Only Option - Deterrence.» *New York Times*: 20/11.
- Shanker, Albert (1987). «Learning the Lessons of the 30s: Avoiding the Wrong Crowd: Against April 25 Mobilization for J & P in Central America and Southern Africa.» *New York Times*: 19/4.
- Sims, Beth (1992). *Workers of the World Undermined: American Labor's Role in US Foreign Policy*. Boston, MA: South End Press.
- Weiner, Lois (1998a). «Albert Shanker's Legacy.» *Contemporary Education*: vol. 69, no. 4. pp. 196-201.
- Weiner, Lois (1998b). «Albert Shanker's Legacy: A Critical Perspective.» Paper presented at: The Annual Meeting of the American Educational Research Association.» San Diego, 13-17 April.
- Weiner, Lois (2005). «Neoliberalism, Teacher Unionism, and the Future of Public Education.» *New Politics*: vol. 10, no. 2, < <http://www.wpunj.edu/newpol/issue38/weiner38.htm> > . (Accessed on: 16 August 2007).